# سـمات البحـث العـلمي عنـد الشيـخ الوائـلي

م.د علي عبد الحسين المظفر

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المبعوثين محمد وعلى آل الطيبين الطاهرين.

من خصائص الأمة الناهضة وجود رجال الفكر الواعي ، ومدينة النجف الاشرف التي تحتضنه بل هو الحاضن لها باب علم النبي( **صلى الله عليه وآله** ) أمير المؤمنين ( **عليه السلام** ) ، كانت و ما تزال منبعا ثرا لمفكري الأمة الإسلامية والإنسانية ، والشيخ أحمد بن الشيخ حسون الليثي الوائلي المولد في حنايا هذه المدينة ( عام ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٧ م )، والمتربي في أحضان أسرة علمية وفي أجواء حوزتها العلمية منذ أن فـُتحت عيناه على أزقتها الضيقة المفعمة بترددات أصوات الفقهاء والأدباء والشعراء فكان تعلمه الأول في كتاتيبها ثم إنضم لحوزتها وأخذ من رحيق علمها على يد أساتيذها منهم الشيخ علي ثامر، والشيخ عبد المهدي مطر ، والشيخ علي سماك ، والأخوين المظفرين الشيخ محمد حسين والشيخ محمد رضا وغيرهم ... ، ليلتحق بعد ذلك بمشروع الإصلاح للنهوض بواقع الحوزة العلمية في النجف الاشرف بقيادة الحجة المجدد الشيخ المظفر مع مجموع من العلماء الذين حملوا هذه الرؤى في التطور وكان الشيخ الوائلي أحدهم ، فالتحق بكلية الفقه عام / ١٩٥٨ م ليتخرج منها عام ١٩٦٢ م ثم واصل درب العلم في جانبه الأكاديمي بحصوله على درجة ( الماجستير ) من جامعة بغداد عن رسالته ( أحكام السجون ) ، ثم (الدكتوراه ) من دار العلوم في (عام : ١٩٧٨ م ) ، ومن جهة أخرى واصل العمل ضمن المشروع الإصلاحي ضمن مؤسسة ( منتدى النشر ) ، فأنتخب سكرتير فيها ، ثم رئيسٌ (عام : ١٩٧٦ م ) ، ودخل العمل السياسي بانتمائه إلى حركة ( جماعة العلماء ) .





يعد الشيخ الثمرة الحقيقية للمشروع الإصلاحي الذي هدف إلى تخريج طلبة علم وخطباء منابر لهم القدرة على الانفتاح على الآخر وإيصال الحقائق على وفق مفهوم معاصر قادر على رد الهجمات التي يتعرض لها مذهب التشيع على مر العصور . فكان حقاً النموذج الذي أستطاع أن يرغم كل المسلمين بمختلف مذاهبهم أن يقف عنده والاستماع أليه عبر عقود من الزمن والغربة عن البلد بسبب الظلم الذي عانه مع شعبه لمدة ثلاثة عقود من الحكم البعثي الجائر ، لكنه ظل وفيا لمبادئه فأبت روحه الطاهرة التي انبثقت من هذه التربة إلى أن تفارق الدنيا فيها ليلقى الله **( عزوجل )** بعد عودته يوم الثلاثاء ١٥ / ٧ / ٢٠٠٣ م في بغداد ثم ينقل إلى النجف الاشرف ليدفن قرب قبر الصحابي الجليل كميل بن زياد **( رضوان الله عليه)** في مقبرته الخاصة .

أن هذا البحث يمثل أساهمة متواضعة نقف فيها عند محراب علمه الحي نسلط فيه الضوء على جوانب من خصائص منهجيته العلمية التي سلكها في مصنفاته لعلنا نفي ولو بجزء بسيط في خدمة أعلام أمتنا ورفع شأنهم وتعريف الأمة بمنزلتهم .

ومن الله التوفيق عليه توكلنا هو مولانا فنعم المولى ونعم النصير

## المحور الأول: تحديد أهداف البحث .

يضع الشيخ **( رحمه الله )** القارئ لمصنفاته في أجواء كتبه من خلال تشخيصه للأهداف التي من أجلها عمد فيها إلى التأليف،وحتى لا يذهب ذهن القاري بعيدا عن ما خطط له من أهداف كان يصبو أليها بسبب طبيعة الموضوع ، أو عنوان الكتاب بقوله : ( قد يتبادر إلى ذهن القارئ من عنوان الكتاب – هوية التشيع – إن الكتاب سيبحث كل ما للتشيع من سمات وخواص ... )[١] ، وهو بهذا يبين للقارئ الفرق بين العنوان و ما تضمنه الكتاب من مباحث كان الشيخ**(رحمه الله)** يهدف إلى دراستها من خلال أبعاده عن هذه التصور بتنبيهه إلى الغاية بقوله :

( ألفت نظره - أي القارئ - إلى أني لم أستوعب كتل ما للتشيع من نعوت وصفات )[٢]، وعلى هذا النهج يسير في كتابيه ( فقه الجنس )[٣] ، و(هوية التشيع )[٤] ثم ينطلق لتحديد بقية الأهداف العامة لكل كتبه ويمكن تحديد ها بجامع مشترك :





١ – وضع القارئ أمام مشكل معين عانى منه المسلمون مجتمعين فلم يكتب في موضوع محدد بفرقة أو مذهب أسلامي بعينه، فنجده في (فقه الجنس) ينطلق من تجربته العملية في المنبر الحسيني وما خلفته مطالعته لكتب المسلمين واطلاعه على أرائهم من صدمة في نسبة الآراء بعضهم للبعض الأخر من دون أن يكون لها أساس سوى اللد والخصومة ، أو سوء الفهم أو تضخيم المنشأ (٥)، وكذا نجد الأمر يتكرر في ( هوية التشيع ) فأن هدفه حل التنازع الدائر بين مختلف الفرق الإسلامية من جهة و الإمامية من جهة أخرى رغم الكم الهائل من الكتب التي بحثت في هذا الموضوع وبمختلف جوانبه الفكرية والعرقية [٦].

٢ – التقريب و الوحدة بين المسلمين وهذا ما نجده في جميع مصنفتا ته فهو هدفه الأساسي من البحث في مثل هذه المواضيع التي يقر الشيخ **( رحمه الله )** نفسه بوصفها التهابات سببتها الجروح المزمنة في تاريخ المسلمين (٧).

٣ – التحدي و الإصلاح من خلال الدعوة إلى الثبات وعدم الانهزامية أمام الدعوى القائمة على مقولة عدم الجدوى في دراسة هذه الأمور و أهدار الوقت فيها بقوله :

( إن افتراض أن الباب مؤصدة في وجه الإصلاح هو انهزام أمام التحدي )(٨).

٤ – تعريف القارئ حقيقة الإسلام من خلال وقفه على المنابع الحقيقية لأصول المسلمين بالرجوع إلى المصادر المعتبرة عند المذاهب الإسلامية وقراءتها بموضوعية بعيداً عن التراكمات التاريخية .(٩)

## المحور الثاني : الشمولية في المنهج .

من خلال تتبع الموضوعات التي يتناولها الشيخ( رحمه الله ) في داخل مصنفاته ومطابقتها مع عناوين كتبه نجد عدم التطابق بينهما في وحدة الموضوع وقد نجد العنوان جزء من أحدى موضوعات الكتاب،والشيخ ( رحمه الله )دقيق في اختيار مواضيعه التي كتب فيها لتمثل قضية متعددة الجوانب البحثية، و متنوعة المداخل الفكرية حيث، تتوزع بين التاريخ ، والعقيدة ، والفقه ، والاجتماع ، و الفلسفة ،والمعاصرة وهذا ما تجسد فعلا في كتابيه ( فقه الجنس ، وهوية التشيع ) بل أنسحب ذلك في أسلوب مجالسه التي كان يلقيها فنجد فيها هذا التنوع الشامل لمختلف الموضوعات وفي داخل المجال الواحد فكان ( رحمه الله ) دائما يبدأ هذه المجالس بآية من القرآن الكريم يجعلها مدخلا لمحاضرته، ثم ينطلق ومن خلال تفسيرها إلى مدخلات





عدة في الفقه ،والتفسير ،واللغة، والتاريخ والمباحث العقائدية ، والشعر، والنكتة الأدبية ذات الدلالات الفنية التي هدفها أغناء البحث ورفع الملل من السامع أن هذا التنوع في الدراسات كان الصفة البارزة عند الشيخ ( رحمه الله ) ونحن نسلط الضوء على هذه الشمولية في تناول المسائل المختلفة تحت عنوان واحد في ضوء دراستنا لكتابيه المار ذكرهما

**أولا: فقه الجنس في قنواته المذهبية**

(١٠)- أن القارئ لهذا العنوان يذهب بذهنه إلى موضوع متعلق في ماهية الجنس أو إلى مبحث في الدراسات الفقهية الدارج عن النكاح وشروطه وأركانه وأنواعه وما إلى ذلك من المباحث الأخرى ، لكن عند تصفح الكتاب نجد مجموعة من المداخلات المتنوعة لهذا الموضوع تشكل عامل المفاجئة للقارئ ،وما وضعه من تصور عن الموضوع فالكتاب من حيث التركيبة المنهجية مقسم إلى أبواب ثم إلى فصول ومباحث على الرغم من صغر حجمه وهذا يشكل خلل في المنهج العلمي ،وفي مسلك البحث لان الباب له مواصفات معينه من حيث التقسيم والعناوين وسعة البحث ناظرا بذلك حجم الموضوع المبحوث فيه إلا أن المتتبع لطبيعة هذه العنوانين التي وضعها الشيخ ( رحمه الله )لأبواب الكتاب سيجدها منطبقة مع المنهج العلمي من حيث التقسيم لوحدة الموضوع مبتعدة عن مدى قدرة استيعاب المادة المدونة، فأننا نقف أمام أربعة أبواب قسم الكتاب عليها وهي في بابها الأول : ( الزواج الدائم ، ووقع البحث فيه بسبعة فصول تتوال فيها فوائد الزواج ، وأحكامه ، والعدد المسموح به من النساء ، ومحل الوطي ، ونكاح البنت من الزنا ، والنسب وصحة الإلحاق) [١١].

تناول في الباب الثاني ( الزواج المؤقت ) وبستة فصول تشريعها في القرآن الكريم ثم في السنة النبوية و الإجماع ، ثم نظر في منعها من وجهة النظر التاريخية وأسباب تحريمها من قبل عمر- أي الخليفة عمر بن الخطاب – وأقوال أهل المذاهب الإسلامية بالمنع ثم ألفاظ الزواج [١٢].

ثم بحث الشيخ **(رحمه الله )** في الفصل الثالث موضوعاً كان مفترض منه أن يضعه في أول الكتاب لأنه تناول فيه مفهوم الرق عند الأمم السابقة للإسلام وأن كان ذلك مدخل لدراسة ظاهرة موجودة في الدين الإسلامي تعرف بـ ( ملك اليمين ) ، فكان هذه الباب معنونا بـ( الوطئ بملك اليمين )[١٣]، وبخمسة فصول متنوعة المداخل من الجانب التاريخي في دراسة أرضية الرق حضاريا إلى تحديد مفهوم ملك اليمين في





الإسلام و اختلافه عن الرق في الأديان والحضارات الأخرى ليبتعد عن الموضوع المبحوث فيه بإدخال موضوع حكم (جلد عُميرة)[١٤] الذي مهد له في دلالة قوله تعالى: {إلا عَلَى أزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أيْمَانُهُمْ فَإنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ }[١٥] ،ودلالة هذه الآية في أطلاق من نواحي متعددة منها الإباحة بالزواج وملك اليمين أما الذي يمارس الوطئ خارج هذين المحلين فهو من العادين [١٦]، ثم تناول في الفصل الخامس موضوع الجمع بين الأختين في ملك اليمين ويعود سبب دراستها من قبل الشيخ الوائلي **( رحمه الله )** لما فيها من اختلاف بين المسلمين في جواز الجمع بين الأختين في ملك اليمين فبعد أن أورد لنا ما تناقلته كتب التفسير والتاريخ في رأي الخليفة عثمان بن عفان بجواز الجمع بينهما في ملك اليمين [١٧] ، ونقل لنا توافق بعض من الفقهاء على هذا الرأي مستعرضا بعد ذلك آراء المانعين وأدلتهم من القران الكريم لقوله تعالى : {وَأن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأخْتَيْنِ إلاَ مَا قَدْ سَلَفَ إنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً}[١٨] ، وقد أستفيد من الإطلاق الموجود في الآية على عدم جواز الجمع من نكاح أو ملك يمين . وما نقل من السنة الشريفة فقد ورد عن النبي **( صلى الله عليه وأله وسلم )** قوله :(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم أختين ) ، و أحصى لنا الشيخ**( رحمه الله )** من ذهب إلى هذا الرأي وهم أئمة أهل البيت **( عليهم السلام )** ، ومن الصحابة علي **( عليه السلام )** ، وعمر والزبير وأبن عباس ... وغيرهم [١٩] ، لينقل فيما بعد أدلة المانعين القائمة أيضا على الكتاب والسنة الشريفة و أسماء من ذهب إلى هذا الرأي[٢٠]. ليخلص في نهاية هذا البحث إلى ما أسماه بـ(الحكمة في ذلك – أي في البحث في مثل هذه المسائل - ) إذ رأى الشيخ**( رحمه الله )** إن البحث عن علة التحريم فيه جانب من عدم الصواب لأنهم يرون أن سبب التحريم الذي شرعه الله تعالى في الجمع بين الأختين حتى لا يؤدي إلى قطيعة الأرحام معقبا على هذا الرأي بقوله : ( أن هذا التعليل غير ناهض ) مبررا هذا الرفض بأباحة الله **(عزوجل)** لنا أن نتزوج المرأة وابنة عمها وابنة خالها والرحم موجود ، لذا ينتهي الشيخ**( رحمه الله )** إلى أن السبب في التحريم بعد التسليم إلى ان الله تعالى هو اعلم بالمفاسد والمصالح إلا انه هناك علل جسمية ونفسية قد تكون لها علاقة بفصيلة الدم أو أسباب مخفية أخرى الله أعلم بها عند تحريمه للجمع [٢١]. مصورا مجموع الأهداف عامة شرع من اجلها الإسلام الوطى بملك اليمين سماه بالأهداف العشرة تلخص بمحورين [٢٢] :





**أولها :** أهداف اجتماعية منه طرح الفهم الخاطئ للعبودية، وتقديم الفكر على الدم ، والبناء الجسدي والحضاري للأمة في بنية قوية بتنوع الدماء وهذا ما أثبتته التجارب العلمية الحديثة وغيرها ... .

**وثانيهما** : الهدف المتعلق بالغريزة الجنسية من خلال كسر الطوق المفروض على الزواج نتيجة غلاء المهور، والمتاجرة بأعراض النساء، نتيجة التملك والتقليل من أعداد الجواري نتيجة الفتوحات الاسمية ....

إن قدرة الشيخ ( **رحمه الله** ) على الجمع بين المواضيع المختلفة وقدرته من ربط المواضيع مع بعضها تتجلى بصورة واضحة في هذا الفصل فالذي يقرأ عنوانه في البدء يعتقد أنه لا دخل له في عنوان الكتاب العام لكن في واقع الأمر يعد من المشكلات التي يقع الخلاف فيها بين الملمسين أنفسهم من جهة ، والأمم الأخرى من جهة أخرى. وهكذا الأمر فيما بحثه يتجلى في الفصل الأخير من هذه الباب .

ثم أنتقل الشيخ( **رحمه الله** ) في الباب الرابع من الكتاب إلى موضوع مهم يدور حوله الجدل اليوم بين فقهاء المسلين بمختلف مذاهبهم بل وفي داخل المذهب الواحد هو ( الزواج من الكتابيات )[٢٣] مبينا الشيخ ( **رحمه الله** ) سبب بحثه لهذا الموضوع بقوله : ( أصبحت هذه المسألة – زواج المسلم بالكتابية - مما يعرض لكثير من المسلمين ومن موارد الابتلاء في هذه الأيام نظراً لهجرة كثير من المسلمين إلى بلاد الكتابين ، والارتباط التجاري ، والاختلاط في الجامعات ، وسائر موارد الامتزاج والاجتماع الذي يؤدي بدوره إلى الميل والارتباط )[٢٤] ، فبعد تحديد مشكل البحث يتعرض لتحديد المقصود بالكتابية ، ثم يستعرض أراء القائلين بالجواز أو المنع ومما يلحظ القارئ أن الشيخ ( **رحمه الله** ) تناول البحث في أراء فقهاء المذهب الإمامي دون التطرق إلى أراء فقهاء المذاهب الإسلامية الأخرى لإجماعهم على جواز الزواج من النصرانية واليهودية دون المجوسية [٢٥].

**ثانيا : هوية التشيع** – أن هذا الكتاب من مطلقات عنوانه يضع القارئ في تصور معين أعترف الشيخ( **رحمه الله** ) نفسه بذلك : ( هناك أمور لا غنى لقارئ هذا الكتاب عن الإلمام بها قبل الدخول في صلب الموضوع لأنها تتضمن الإجابة لما قد يعن للقارئ من سؤال خلال قراءته كما أنها ستجعل القارئ يفهم الكتاب في حدود عناوينه - وهنا يعترف الشيخ( رحمه الله ) بأن الكتاب في مضمونه يختلف عن عنوانه المتبادر





إلى ذهن القارئ له من جهة وهو يتضمن عناوين مختلفة سيجدها في داخل الكتاب تشمل مختلف القضايا التي ترتبط بمفهوم مفردة التشيع - لئلا يكبر المعنون أو العكس)[٢٦] . أن هذا الشمول في تناول الموضوعات المختلفة نجدها مجسده من خلال :

١- **تقسيمات الكتاب** : فقد أتبع الأسلوب ذاته الذي نهجه في كتاب (فقه الجنس) من حيث توزيع الكتاب على أبواب أربعة لم يضع لها عناوين محددة على ما فعله في كتابه السابق و إنما اكتفى بترقيم الأبواب ، ووضع العناوين للفصول ، مسبوقة بمقدمة حدد فيها منهجه في البحث ودوافع الكتابة في هذا الموضوع ، ومن ثم تمهيد تناول فيه تعريف التشيع ونشأته التاريخية سماه ( تطور التشيع) . أستعرض فيه أراء الكتاب المحدثين وهم عبد العزيز الدوري ، ومحمد فريد وجدي ، وكامل مصطفى الشيبي ... وغيرهم ([٢٧] )،وهدف من ذلك إلى ما فرقه هؤلاء لمفهوم التشيع في صدر الإسلام وما تلا ذلك في العصور المتأخرة .

٢- **موضوعات الكتاب :** اختلفت موضوعات الكتاب من باب لآخر بل تباينت في داخل الباب نفسه ففي الوقت الذي كان عنوان الكتاب هوية التشيع أخذت عناوينه الداخلية تشكل نواة لموضوعات مستقلة لدراسات متشعبة ، وقد لا تجد لها ترابط تحت قاسم موضوعيا موحد ، و الشيخ ( رحمه الله ) له العذر في هذا الجانب ، فقد أراد لكتابه أن يكون مفتاح تعريف يقدمه للقارئ غير الشيعي للولوج إلى ماهية التشيع من خلال هذه العناوين المتعددة التي طرحت في الكتاب وقد وضح الشيخ هدفه من ذلك كما بينه في مقدمته للكتاب : (قد تبادر إلى ذهن القارئ من عنوان الكتاب هوية التشيع أن الكتاب سيبحث كل ما للتشيع من سمات وخواص سواء كانت من المقومات أو من السمات التي أضيفت إليه .ولكي ُابعد القارئ عن هذا التصور ألفت نظره إلى أني لم أستوعب كل ما للتشيع من نعوت وصفات إنما تعرضت هنا ُ لأمور تكفي لإيضاح هوية التشيع وفي الوقت ذاته يدور حولها نزاع بين مختلف الفرق الإسلامية من جانب وبين الإمامية من فرق المسلمين وما يزال الجدل يحتدم حولها برغم ما كتب حولها وبرغم إشباعها بالبحث منذ أزمنة طويلة وهي تتناول من التشيع جوانب عرقية وجوانب فكرية )[(٢٨)]





فالباب الأول الذي خصص فصوله لدراسة التشيع من حيث وجهة النظر التاريخية مستعرضا بدايته الأولى في عهد النبي ثم أدلة هذا الوجود ومبينا لأهم رموز التشيع في الصدر الأول خاتما هذا الباب بالرجوع إلى التمهيد في دراسته لتعريف التشيع ببيان الفرق بين مصطلحي ( الشيعة ، و الروافض )[٢٩] ،موضحا هذا الفرق من خلال كتب اللغة بالرجوع إلى الزبيدي الذي عرف الروافض ( كل جند تركوا قائدهم ، والرافضة فرقة منهم ، والرافضة أيضا فرقة من الشيعة سموا بذلك لأنهم بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له تبرأ من الشيخين فأبى ... ) [٣٠] ، ثم أنقل إلى موضوعات أخرى تختلف تماما عن التي قبلها وهي مسألة الشتم للشيعة وأسبابه . فيما كان الباب الثاني غير معنون مخصصاً لدراسة قضية مرتبطة بهوية التشيع العرقية هي تهمة ( فارسية التشيع ) مبينا سبب الخوض في هذا الموضوع بقوله ( رحمه الله ) : ( هذا الموضوع من المواضيع التي كثر الحديث حولها وهي في واقعها تكون جزءاً من محاصرة التشيع )[٣١] ، وبعد عرض أبعاد هذه التهمة و عرض أقوال القدماء والمعاصرين والمستشرقين من المؤرخين والباحثين ، موضحا لهذه الآراء بكل موضوعية وحيادية مستعرضا مفهوم الهوية العرقية ودلالتها الانتمائية في الإسلام فمفهوم العروبة: ( هي المزيج المتكون من الفكر والمشاعر واللغة والتراب ) [٣٢] ، ومقومات تحديد الهوية عند الشيخ قائمة على عوامل ( البيئة الجغرافية ، واللغة ، وعروبة الخليفة ، والتاريخ والمصالح المشترك ) [٣٣] ، وهذه العوامل المجتمعة في الهوية العربية منطبقة على هوية التشيع العرقية . مختتما هذا الباب بدراسة مقارنة لمقومات المذاهب الإسلامية الأخرى من خلال إسقاط مفردات تحديد القومية على أبرز علماء مذاهبهم . فيما خص موضوعة الباب الرابع في موضوعا ذات صلة بالباب السابق لكن من وجهة نظر عقائدية فأطلق عليه ( هوية التشيع العقائدية )[٣٤] ، وقد مهد الشيخ ( رحمه الله ) دراسة الجانب العقائدي للتشيع بمجموع من الإشارات تجنبا للخلط في الحقائق التاريخية التي دأب الباحثون الوقوع فيها وهي :





١ – التفريق بين الشيعة المراد منهم في البحث وهم الإمامة الاثني عشرية الذين يؤلفون جمهور المسلمين والتي تملئ كتبهم المكاتب في العالم .

٢ – لابد من تحيد مفهوم الفرقة عند دارسي الفرق وعدم أطلاق هذه التسمية على شخص شاذ قد يتبعه مجموعة من الأفراد لا يتجاوزون العشرة وبالتالي الانجرار وراء الآراء الشاذة ونسبتها إلى الكل وقد لا تعبر إلا عن نفسه.

٣ – لابد لمن أراد الكتابة عن فئة معينة بالرجوع إلى مصادر الفئة نفسها ومن كتبهم ومصادرهم المعتبرة و المتسالم عليها عندهم .

٤ – الرجوع إلى كتب الاختصاص في أخذ المعلومة فلا يمكن أخذ الرأي الفقهي من كتب الأدب أو القصص ، أو نأخذ عقيدة فئة من كتب دواوين الشعر .

٥ – النظر في تقييمات أصحاب الفرق وما يصدروه من أحكام عليها دون الرجوع إلى مصادر اعتقاداتهم القائم على القران الكريم والسنة الشريفة فمثلا عندما يوردون مسألة نظرية الخلافة فيما ذهب إليه الشيعة بالنص وعدم القول بالشورى في الخلافة ترتبط عند أهل الفرق في مسألة أن الفرس يرون لملوكهم حقا إلهيا بالحكم وبما أنه الشيعة يقولون بالنص لا الشورى فقد أخذوا ذلك من الفرس .

وبعد عرض هذه المداخلات يبدأ الشيخ بدراسة مجموعة من اعتقادات الشيعة من عرض أقوال علمائهم تحت عنوان ( عقائدهم بأقلامهم ) رادا على بعض تخرصات الآخرين وخاصة نسبة التشيع إلى عبد الله بن سبأ (٣٥).





**المحور الثالث : الموضوعية و المرونة في إبداء الرؤى والأفكار .**

من أهم الصفات التي يضعها علماء المنهج للكاتب الناجح هي الموضوعية في ما يكتب والمرونة في الحوار من خلال ما يطرحه من أفكار ورؤى قد يختلف فيها مع الآخر اختلافا جذريا [٣٦] ، وهاتين الصفتين نجدهما تجسدت وبشكل فعلي في كتابات الشيخ وأن كان يعترف و بجرأة بوجود مواطن في البحث لا يتمالك نفسه في أن يشخصها وبقوة قد يعتقد البعض تخرجه من صفة الباحث الموضوعي المرن في تقبل الآخر بقوله : (وسيجد القارئ في ثنايا هذا الكتاب بعض الالتهابات التي سببتها الجروح المزمنة في تاريخ المسلمين وسيجد ما يتبع الالتهابات من ألم وتشنج مما هو ظاهرة طبيعية لا طبعية يسببها إفلات الزمام أحيانا بالرغم من ألم من ترويض الأعصاب وقسرها على التحمل ، وكل من مارس الكتابة في أمثال هذه المواضيع يعلم مقدار الحرج والمشقة في ضبط الأعصاب )[٣٧] ، متمنيا في ذات الوقت على الكاتب ان يتصف بالهدوء في الطرح وان كان الموقف فيه من الصعوبة عليه فـ( مهما يحرص الكاتب على هدوء الأعصاب فقد يفلت القلم أحيانا بما لا يصل إلى التعدي حدود اللياقة )[٣٨] ، وضبط الأعصاب عند الشيخ شرط أساسي لكسب ثقة القاري وموضوعيته فيما يكْتب وتمنح الكاتب التوازن في كبح نوازعه النفسية وتمكنه من الوصول إلى النتائج بسلامة وتبعده عن الخروج عن روح البحث العلمي الدقيق ، والارتجال في إصدار الأحكام ، وتقربه من البحث بموضوعية ، فهذه الصفة في البحث عند الشيخ الوائلي منهج يتبناه، بل يدعو إليه كل الباحثين كحل أمثل لتجنب الخلافات بين المسلمين[٣٩] ، وهذا ما جسده في مبحث ( الإمامة ) وكيفية تناوله من قبل فقهاء المذاهب الإسلامية الأخرى بقوله : ( مع انه موضوع الإمامة والخلافة سواء ذهب زمانه أم لا، فإن علماء الشيعة عندما يعالجونه فإنما يعالجـونه بأعصاب هادئة وموضوعية ... )[٤٠]، وسلك ذلك في دعوته إلى تفسير القرآن بشكل موضوعي[٤١]، ولأجل إيضاح هذا المنهج نأخذ نموذجين لطبيعة البحث عند الشيخ:

**الأول :** ما تناوله الشيخ في كتابه فقه الجنس في موضوع ( العدد المسموح به من النساء )[٤٢] ، فبعد العرض التمهيدي للموضوع ولربطه بالبحث الذي سبقه وبيان ثمرات البحث فيه عرض لأنماط الزواج السائدة في مجتمعات العالم وقد حصرها بأربعة أنماط





بدأ بعرض أراء فقهاء المذاهب الإسلامية فعرض لرأي المقداد السيوري مبينا لمدركه الفقهي استناد لقوله تعالى : { فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ} [٤٣] وهو من فقهاء الامامية ملخصا لفهمه للنص رمن استعراضه لفهم العدد في الآية المباركة ( يعني مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اثنين ، وثلاث ثلاث و أربع أربع ، فان خفتم أن لا تعدلوا بين الأعداد المذكور (( فانكحوا واحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أقرب أن لا تعولوا .... ))([٤٤]) أي التخيير بين الواحدة أو ملك اليمين يقلل الإنفاق ويبعد عن الجور([٤٥]) ، ثم استعرض مجمل الأحكام الفقهية المستفاد من الآية المباركة[٤٦] ، لينتقل الشيخ بأخذ نموذج من الفهم المعاصر للآية بأخذ ما ذهب أليه السيد الروحاني من وجه استدلال في كتابه (( فقه الإمام الصادق ))([٤٧]) ، ثم بين الشيخ لآراء فقهاء مذاهب المسلمين تحت عنوان عام (( آراء أهل السنة ))([٤٨]) ، وبتتبع موضوعي أخذ تفسير الآية المباركة من كتب التفسير المعتمد لديهم كما فعل في الأخذ من تفسير (كنز العرفان )([٤٩]) عند الإمامية ، فقد رجع إلى تفسير( القرطبي)([٥٠]) ،وهو من المالكية ، ثم اخذ من تفسر
( أبن كثير)([٥١]) ، وهو حنبلي المذهب ، ومن الفخر الرازي الشافعي[٥٢]. مستعرضاً لأرائهم في المسألة ، وهو بذلك قد سلك الموضوعية والموازنة في عرض الرأي والرأي الآخر التي قدمها للقارئ من دون تشويه للحقائق تاركا لرأيه المستخلص في نهاية العرض تحت عنوان جميل ( تعقيب )([٥٣]) دون أن يؤثر في أصل النصوص المنقولة .

**الثاني :** ومن خلال ما نقله في موضوع ( متى بدأ التشيع ) يتبين المنهج الموضوعي الذي سلكه الشيخ في البحث فبعد العرض التمهيدي للموضوع و ربطه بالبحث السابق يحدد مسار البحث بقوله : ( وسأستعرض لك نماذج من آرائهم في ذلك - أي فيما ذهب أليه المؤرخين والباحثين عن بدايات التشيع وبتذوره الأولى – وأترك ما أذهب أليه إلى آخر الفصل )([٥٤] )، فالبحث عند الشيخ قائم على حقيقة منهجية موضوعية هو العرض لافكار الآخر ثم بيان رأيه فيما تناولته النصوص المنقولة ، وقد أجمل الأقوال في خمسة اتجاهات ([٥٥]):





١- ما ذهب أليه البعض من أن التشيع تكّون بعد وفاة النبي ( ص ) . وقد ذكر أقوال من ذهب إلى ذلك وهم : اليعقوبي ( ت: ٢٩٢ هـ)، و أبن خلدون ( ت : ٨٠٨ هـ ) ، وأحمد أمين ،وحسن إبراهيم ، والمستشرق جولد تسيهر الذي قال ( أن التشيع نشأ بعد وفاة النبي (ص ) وبالضبط بعد حادثة السقيفة ) [٥٦] .

٢- الرأي القائل أن التشيع نشأ في زمن عثمان بن عفان ، وقد استعرض لأبرز من قال في ذلك مكتفيا بالإحاله للتفصيل إلى كتاب يحيى هاشم فرغل[٥٧].

٣- ما ذهب أليه البعض من أن التشيع ظهر في أيام خلافة الامام علي **( عليه السلام)** من قال بذلك النوبختي ، وأبن النديم [٥٨] ، وقد حددها بفترة واقعة البصرة ( معركة الجمل ) مبرر ذلك بالعوامل التي هيئة للمعركة والتي كان لها الاثر في تبلور التشيع وتكوينه وظهوره كفرقة فيما بعد[٥٩ ].

٤- الرأي الذي يذهب إلى إن ظهور التشيع كان بعد (واقعة الطف ) وابرز من تبنى هذا الرأي كما نقله الشيخ هم المعاصرين من الباحثين كالدكتور كامل مصطفى الشيبي ، وعبد العزيز الدوري ، والمستشرق بروكلمان[٦٠]

٥- وبعد أن استعرض جميع الآراء في مقدمة البحث انتهى إلى بيان رأي الشيعة أنفسهم ومن توافق معهم في الرأي القائل ( أن التشيع ولد زمن النبي (ص ) وأن النبي نفسه هو الذي غرسه في النفوس ) [٦١] ، وقد أستدل في تبني هذا الرأي من خلال الأحاديث الواردة عنه **( صلى الله عليه وال و ه )** بحق علي **( عليه السلام )** مستند إلى ماروها أبن عساكر ، والسيوطي في تفسير قوله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ } [٦٢] قال النبي **( صلى الله عليه واله )** لعلي هم أنت وشيعتك[٦٣] .

ومن خلال ما تقدم من النصوص موضع البحث نجد الشيخ قد ألزم نفسه بمجوع من الثوابت البحثية التي ظهرت قدرته على ضبط النفس من خلال استيعابه لما يعرضه من أراء الآخرين وأن كان فيها ما يخالف مذهبه ومعتقده بل في بعضها التجني ومخالف الحقيقة .





**المحور الرابع : تنوع المصادر.**

من أهم الخصائص التي يلحظها القارئ لكُتب الشيخ( رحمه الله ) هي دعوته العلمية الدقيقة باعتماد المصادر الأساسية في البحث عن الأفكار و الروئ المطلوب البحث فيها لدى الكتاب من أجل أن لا تنقل الحقيقية بشكل مغلوطة وبالتالي تُحمل الأمور على غير وجهها الصحيح لكن هذا لم يمنع الشيخ بالرجوع إلى مختلف المصادر والدراسات الحديثة وفي ضوء ذلك يمكن لنا أن نقسم مصادره على الوجه الآتي :

١ – المصادر والمراجع القديمة المتمثلة بكتب الحديث المعتمدة لدى المذاهب الإسلامية.... ومصنفات الفقه عند المذاهب ، وبمختلف اتجاهاتها المذهبية ،ومدونات التاريخ ، كتاريخ الطبري ، و اليعقوبي ، وأبن خلدون واللغة أمثال الصحاح ، وتاج العروس .

٢- المصادر والدراسات الحديثة لمفكري العرب والمسلمين أمثال أحمد أمين ، وعبد العزيز الدوري ، وحسن إبراهيم .

٣ – دراسات المستشرقين بما كتبه عن المسلمين وخاصة الشيعة وطبيعة تأثرهم بما كتب على يد الآخرين من حقائق مغلوطةٍ في تصوير عقائد الشيعة وتاريخهم ،أمثال بروكلمان ، وجولد تسهير .





## الخاتمة

من خلال استقراء السمات العامة لخصائص البحث العلمي عند الشيخ الوائلي ( رحمه الله )نقف عند مجموعة من المشخصات المنهجية التي ارتسمت على طبيعة كتاباته ، وخـاصة كتابيه ( فقه الجنس ، وهوية التشيع ) :

١ – كان واضح لديه ( رحمه الله ) امتزاج الأسلوب البحثي الذي نشأ عليه الشيخ في الحوزة العلمية مع منهجية البحث الأكاديمي الذي سلكه فيما بعد ، فالأول يتسم بطابع السردية في تناول الحقائق ، فيما يتصف الثاني بالموضوعية والمنهجية القائمة على بيان الحقائق المعلومات وفق لأسس معينة ، وبأسلوب موجز مبتني على توثيق المعلومة .

٢ – كان حريصا في وضع القارئ في أجواء البحث من خلال أعطاء التصورات العامة لبحثه والأهداف التي من أجلها كتب في الموضوع المراد البحث فيه .

٣ – أتسم بالموضوعية والحيادية في طرح آراء الآخرين ، ومجمل كتاباته لم تكن أحادية الرأي وإنما كان يتبع أسلوب البحث المقارن .

٤ – تنوعت مصادره فلم تقتصر على الأصول بل تعدت إلى الدراسات الحديثة ، ومصادر الثقافة الغربية متمثله بدراسات المستشرقين .

٥ – لم تكن كتاباته موجهة إلى طبقة معينة من المجتمع و أنما كانت عامه يستفيد منها المتخصص والمثقف البسيط .





## الهوامش

[1] - الوائلي : هوية التشيع – ص ٣ .
[2] - م .ن – ص ٣
[3] - مقدمة الكتاب : ص ٥
[4] - مقدمة الكتاب – ص ٣ .
[5] - انظر : الوائلي فقه الجنس : ص ٥
[6] - أنظر : الوائلي – ص ٣
[7] - أنظر : هوية التشيع – ص ٤ ، فقه الجنس – ص٥
[8] - هوية التشيع – ص ٤ ، فقه الجنس – ص ١٣ - ١٤
[9] - انظر : الوائلي فقه الجنس : ص ١٠ .
[10] - ألفه الشيخ نتيجة حاجه تولدت لديه من خلال مجالسه الحسينية التي كان يعقدها وما لمسه من احتياج المنبر الحسيني من موضوعات عقائدية وفقهية مقارنة وبسبب ما أنتجته مطالعته لمختلف كتب المسلمين وما وجد فيها من اختلاف و اختلاق ورمي بعضهم للبعض الآخر في أمورا تخرجه عن حقيقة الإسلام . أنظر : مقدمة الكتاب – ص ٥ و ما بعدها .
[11] - فقهه الجنس – ص ٤٥ ، وما بعدها .
[12] - م . ن –ص ١٣١ ، وما بعدها .
[13] - م . ن – ص ١٧٩ ، وما بعدها .
[14] - م . ن – ص ٢٠٩ .
[15] - المؤمنون /٦ .
[16] - فقه الجنس – ص ٢٠٩
[17] - م . ن – ص ٢١٥ .
[18] - النساء / ٢٣
[19] - فقه الجنس –ص ٢١٦ .
[20] - م .ن – ص ٢١٦ .
[21] - م .ن – ص ٢١٨ – ٢١٩ ..
[22] - م .ن – ص ٢٢٣ – ٢٤١ .
[23] - م .ن – ص ٢٤٥ ، وما بعدها .
[24] - م .ن – ص٢٤٥ .
[25] - م .ن – ص ٢٤٦ .
[26] - م .ن – ص ٣ .
[27] - م .ن – ص ٢٣ – ٢٦ .
[28] - هوية التشيع– ص ٣ ٠
[29] - م . ن – ص ٢١ ، وما بعدها ٠-
[30] - م . ن – ص ٢١ ، نقلا عن تاج العروس ٥ / ٣٥ وقد نقله الزبيدي عن الجوهري في الصحاح – ٣ / ١٠٧٨ ، وذكر نفس التعريف أبن منظور : لسان العرب ٧ / ١٨٩ ، و مما يثير الانتباه أن الشيخ لم يلتف الى أثر التطور الزمني في تطور التعريف والمصطلح .
[31] - هوية التشيع : ص ٥١ ٠
[32] - م . ن – ص ٨٠ ٠
[33] - م . ن – ص ٨١ – ٨٥ ٠
[34] - م . ن – ص ١١٩ ، وما بعدها ٠
[35] - م . ن – ص١٢٩ – ١٥٣ .
[36] - أنظر : الفضلي : أصول البحث – ص٢٣٨ ٠
[37] - هوية التشيع : ص ٤
[38] - فقه الجنس : ص ١٢ ٠
[39] - أنظر : هوية التشيع – ص ٤ ، من التفسير غير الموضوعي للقرآن الكريم ص ١٢٦ .
[40] _ هوية التشيع – ص ١٤٥ .
[41] - من التفسر غير الموضوعي للقرآن الكريم ص ١٢٦
[42] - فقه الجنس – ص ٨١ .
[43] - النساء / ٣ .
[44] - فقه الجنس – ص ٨٤ ، نقلا عن المقداد السيوري : كنز العرفان - ٢ / ١٣٨ .
[45] - فقه الجنس – ص ٨٤ ٠
[46] - فقه الجنس –ص ٩٠ ، انظر كنز العرفان - ٢ / ١٣٩ .
[47] - فقه الجنس –ص ٩٠ نقلا عن :فقه الإمام الصادق -١٧ / ١٩٥ و ما بعدها .
[48] - فقه الجنس – ص ٩١ ، و ما بعدها .
[49] - كنز العرفان في فقه القران ، صنفه المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين الحلي الاسدي السيوري المتوفى عام ( ٨٢٦ هـ ) ، وهو من كبار علماء الامامية في القرن التاسع الهجري .
[50] - تفسير القرطبي ، ( الجامع لاحكام القرآن ) ، صنفه ابو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري المتوفى ( عام : ٦٧١ هـ ) من علماء الحنابلة .





[51] - تفسير أبن كثير ، صنفه أبو إسماعيل بن كثير القرشي المتوفى ( عام ٤٧٤ هـ ) من علماء الحنفيه

[52] - التفسير الكبير ، والذي نسيب إلى مؤلفه فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي من ابرز علماء المذهب الشافعي المتوفى ( عام ٦٠٦ هـ )

[53] - فقه الجنس – ص٩٣ .
[54] - هوية التشيع – ص ٢٣ .
[55] هوية التشيع – ص ٢٣ .
٥٧ - م . ن - ص ٢٤ نقلا عن : تاريخ ابن خلدون – ٣ /٣٦٤ ، فجر الإسلام - ص ٢٦٦ ، تاريخ الإسلام ١ / ٣٧١ ، تاريخ اليعقوبي – ٢ / ١٠٤ ، العقيدة والشريعة – ص ١٧٤
[57] - هوية التشيع – ص ٢٥ ، ولم يستطرد الشيخ في عرض الآراء و إنما اكتفى بالإشارة إلى الرجوع الى كتاب ( عوامل وأهداف نشأة علم الكلام ) الذي بين فيه الكاتب وبالتفصيل لأقوال المؤرخين ومبينا مبررات الذهاب إلى تبني هذا الرأي من قبلهم - ١ / ١٠٥ و ما بعدها من الكتاب .
[58] - هوية التشيع – ص ٢٥ نقلا عن : فرق الشيعة - ص ٢٣، الفهرست – ص ١٧٥
[59] - انظر أبن النديم : الفهرست – ص ١٧٥.
[60] - هوية التشيع – ص ٢٦ ، وقد نقل أرائهم من كتاب الشيبي الصلة بين التصوف والتشيع – ص ٢٣ ، والدوري : تاريخ صدر الإسلام – ص ٧٢ ، وبروكلمان : ص – ٧٢ وقد ناقشه فيما طرحه من أفكار التي خالف فيها من ذهب الى هذا الرأي في سبب ظهور التشيع بالتميز السياسي للمذهب ، فيما لا يرى بروكلمان من أثر سياسي للواقعة و أنما أقتصر أثرها على تعميق المذهب دينيا .
[61] - هوية التشيع – ص ٢٦ ، و ما بعدها .
[62] - م . ن – ص ٢٦ .
[63] - البينة/ ٧

## المصـــــــادر والمراجع :


خير ما نبتدئ به : القران الكريم

*احمد أمين

١ - فجر الاسلام ،

*حسن ابرهيم ( الدكتور ) .

٢ - تاريخ الاسلام ، مصر ، ١٩٣٥

*الجوهري : أبو نصر إسماعيل بن حماد ( ت : ٣٨٩ هـ )

٣ - الصحاح ،وتاج اللغة ،تح احمد عبد الغفور ، بيروت ، دار الكتب .

*ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون

٤ - تاريخ أبن خلدون،( المقدمة )

*الدوري : عبد العزيز الدوري ( الدكتور )

٥ – مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، بغداد ، ١٩٤٩ م .

*الزبيدي : العلامة اللغوي محمد مرتضى الزبيدي

٦ - تاج العروس ، ،مطابع دار صادر ، بيروت- ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

* الشيبي : كامل مصطفى (الدكتور ) .

٧ - الصلة بين التصوف و التشيع ، بغداد ، الطبعة ١ ،١٩٦٩ م

*الشيرازي : السيد محمد الحسيني

٨ - الفقه ( موسوعة استدلالية في الفقه الاسلامي ) ، ط ١ ، مكتبة الألفين ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

الفضلي : عبد الهادي ( الدكتور ) – معاصر .

٩ - أصول البحث ،ط١ ،دار المؤرخ العربي،بيروت–لبنان ١٤١٢ هـ .

* المقداد السيوري :المقداد بن عبد الله السيوري ( ت : ٨٢٦ هـ ) .

١٠ - كنز العرفان في فقه القرآن ، تح :محمد القاضي ، دار الهدى ، قم المقدسة ، ١٤١٩ هـ .

*ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي(ت:٧١١ هـ) .

١١ - لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٨ هـ -١٩٦٨ م .

*ابن النديم :أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب الوراق( ت: ٤٨٠ هـ ).






١٢ - الفهرست ،تح محمد رضا تجدد ، طهران ، ١٣٩١ هـ - ١٦٧١ م .
* النوبختي : أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي .
١٣ - فرق الشيعة ، صححه وعلق عليه ، محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
* اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن جعفر الكاتب(ت: بعد ٢٩٢ هـ ) .
١٤ - تاريخ اليعقوبي ،قدم له محمد صادق بحر العلوم ،ط ٤ ، المطبعة الحدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م .
* الوائلي : الشيخ أحمد حسون ( الدكتور ) ( ت : ٢٠٠٣م ) .
١٥– فقه الجنس في قنواته المذهبية، دار الصفوة – بيروت ،ط ٣ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م
١٦- من التفسير غير الموضوعي للقرآن الكريم ، بحث منشور ضمن كتاب المنهاج ، عدد ١٣ ، ط ١ ، مركز الغدير للدراسات والنشر ، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧ م .
١٧ – هوية التشيع ، دار الكتبي ، بيروت - لبنان، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .



